مقياس منهجية البحث الأدبي: السنة الثالثة أدب عربي

د/ سعاد حميدة

الأفواج(1+2+3)

المحاضرة1: مفاهيم نظرية

حتى يتعرف الطالب على كل ما يتعلق بالبحث الأدبي ومنهجيته، ويستطيع أن يفرق بينه وبين أنواع أخرى من منهجيات البحث، لابد أن يتعرف على المفاهيم النظرية ذات الصلة، وهو ما سنحاول بسطه فيما يلي:

1_ مفهوم المنهج والمنهاج: هما لفظان نستدل عليهما في معاجمنا العربية من مادة" ن_ هـ_ ج"، التي تعني المسلك الواضح والطريق الواسع المستقيم، البين حيث يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي« طريق نهج: واسع واضح، وطرق نَهَجَة، ونهج الأمر، وأنهج لغتان: أي وضح، ومِنْهَج الطريق: وضّحه، والمنهاج: الطريق الواضح».

وفي المعجم الوسيط« نهج الطريق نهجا ونهوجا: وضح واستبان، وانتهج الطريق: استبانه وسلكه، يقال: طريق نَهْجٌ، وأمر نَهُجٌ: الطريق المستقيم الواضح، المنهاج: الطريق الواضح، يقال هذا نهجي ولا أحيد عنه».

وعليه يتضح أن معاجمنا العربية، قد خطت مفهوما ودلالة لغوية واحدة لكل من المنهج والمنهاج، مما جعلها تبدو للقارئ وكأنها مترادفة إلا أن الفيصل بينهما يرجع إلى استعمالاتهما في الدراسات الأكاديمية الحديثة، التي توضح خصائص كل منهما، وبمقابلتهما بالمصطلحات الأجنبية يتضح الفرق.

أ_ المنهج:(هو الترجمة العربية للكلمة الإنجليزية Method أو الكلمة الفرنسية Méthodeالتي تعود في النهاية إلى الأصل اليوناني Methodos، التي كان أفلاطون يستعملها بمعنى« البحث أو النظر أو المعرفة، واستخدمها أرسطو بمعنى البحث».

أما اصطلاحا فقد عرف معاني ومفاهيم عديدة، ويعرفه محمد بدوي بقوله« هو مجموعة القواعد التي يستعملها الباحث لتفسير ظاهرة معينة، بهدف الوصول إلى الحقيقة العلمية، أو أنه الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل غلى نتيجة معلومة».

كما يعرف المنهج الدكتور عامر مصباح فيقول:« مجموعة الخطوات العلمية الواضحة والدقيقة، التي يسلكها الباحث في مناقشته أو معالجة ظاهرة اجتماعية أو سياسية أو إعلامية معينة». وقيل كذلك عن مفهوم المنهج أنه يعني:« جملة المبادئ والقواعد والإرشادات، التي يجب على الباحث اتباعها من بداية البحث إلى نهايته، بغية الكشف عن العلاقات العامة والجوهرية والضرورية التي تخضع لها الظواهر موضوع الدراسة».

والخلاصة أن المنهج يعني الطريقة الخاصة التي تصلح لكل علم على حدة، ولكل موضوع من موضوعات العلم، ويعني الأسلوب أو الكيفية أو الوسيلة المحددة التي تتأسس على مجموعة قواعد عامة يتم وضعها، ويتبعها الباحث في دراسة المشكلة، التي تؤدي إلى الغرض المطلوب أو الغاية المعينة.

ب_ المنهاج: يقابله في اللغة الأجنبية مصطلح **Curriculum**، وهو يستعمل بكثرة في مجال التعليم وهو ما يجعله أكثر خصوصية من المنهج، ويعرف على أنه « مجموع الخبرات التربوية والانشطة التعليمية التي توفرها المدرسة، ليتفاعل معها التلاميذ داخلها وخارجها تحت إشرافها بقصد تغيير سلوك التلاميذ نحو الأفضل في جميع المواقف الحياتية»، فالمنهاج بمثابة خطة تعليمية تتضمن الغايات والمقاصد والاهداف والمضامين والأنشطة التعليمية، ثم طرائق التعليم وأساليب التقويم»، وعليه يتضح ان المنهاج التعليمي بمثابة بنية منسجمة لمجموعة من العناصر المنظمة في نسق تربطها علاقات التكامل بوضوح، وهو « نوع من التشريع يقصد به تنظيم العملية التعليمية التعلمية وتوجيهها نحو الأغراض القومية المنشودة، وهو أشبه بالقوانين التشريعية التي تكفل التقدم والحياة الفضلى».

ج_ المنهجية: لم يرد ذكر كلمة المنهجية في المعاجم اللسانية العربية القديمة والحديثة، لأنها كلمة ابتكرها الفكر العربي الحديث لمفهوم علمي وافد عليه من ثقافات أجنبية، ويقابله في الإنجليزية مصطلح Methodology، وفي الفرنسية Méthodologie، وهي كلمة مركبة من جزئيين هما منهج Méthode التي تعني الطريقة الواضحة، واللاحقة Logie بمعنى العلم وبذلك يكون معناها علم المنهج، أو علم المناهج، أي العلم الباحث في المناهج، أو العلم الباحث في الطرق المستخدمة في العلوم للوصول إلى الحقيقة»، فهو يحدد الشكل العام للمناهج والطريقة التي يكون بها أي منهج، لأنها مصدر صناعي والاستعمال الاصطلاحي المعاصر قد خص هذه الصيغة« للدلالة على المفهوم التجريدي والنزع المذهبي والخصوصية المعرفية والهوية العلمية»، كون لاحقة المصدر الصناعي(يّة) تختص في علم الاصطلاح المعاصر« بالبعد العلماني والعقلي وبالتالي الموضوعي مثل الأسلوبية هي علم الأسلوب» وكذلك المنهجية هي علم المنهج. وهكذا يتضح الفرق بين لفظي المنهج والمنهجية.

د_ البحث: في اللغة جاء في لسان العرب« البحث طلبك الشيء في التراب، والبحث أن تسأل عن شيء وتستخبر، وبحث عن الخبر: سأل، والبحث: الحية العظيمة لأنها تبحث التراب، وسورة براءة كان يقال لهاك البَحُوث: لأنها بحثت عن المنافقين وأسرارهم أي استثارتها وفتشت عنها، والبُحُوث: جمع بحث(بضم الباء وقد تفتح فهي حينئذ فَعُول) من أبنية المبالغة»

وجاء في(المصباح المنير للفيومي)« بحث عن الأمر بحثا: استقصى وبحث في الأرض: حفرها، وفي التزيل" فبعث الله غرابا يبحث في الأرض"(سورة المائدة، آية: 31)، وهنا نرى المعاجم قد اتفقت على معنى للبحث هو التفتيش عن شيء خفي.

ويلاحظ من الشروح اللغوية أن لفظة البحث، تشتمل على معنيين الأول منهما مادي هو طلب الشيء والتفتيش عنه، والثاني منهما معنوي هو السؤال عن الشيء والعلاقة بين المعنيين واضحة ذلك أن التفتيش مرحلة أولى في سبيل الكشف عنه والعثور عليه، فإن لم يتمكن الإنسان من

العثور من إيجاد ما يطلب بوساطة التفتيش سأل عن ذلك الشيء للتعرف على مكانه، ومن هنا نرى أن المدلول المعنوي للبحث تطور منطقي لمدلوله المادي.

وهذا اللفظ في الاصطلاح يمكن أن نعرفه على أنه« تناول موضوع معين أدبي أو علمي بالدراسة الشاملة، والتفتيش الدقيق عن خباياه والتنقيب عن حقائقه، واستكشاف جوانبه واستقصاء مسائله وحصر جزئياته، بطريقة علمية منهجية منظمة، والاجتهاد في ذلك، والصبر والمثابرة والإخلاص والحيدة للوصول إلى نتائج محددة وحقائق جلية وآراء جديدة مقنعة مفيدة للقارئين وللباحثين من بعد في هذا الموضوع أو فيما يتصل به»

ومصطلح البحث في كتب القديمة كان يحمل معنيين« الأول : التفتيش عن النصوص والأخبار...وطبيعي أن التفتيش عنها يتبعه قيام المؤلف بدراسة هذه النصوص لفهمها والوصول إلى معانيها الحقيقية، ولهذا ترد لفظة البحث دالة على التعمق في دراسة النص ومقترنة بالنظر والتأمل عند كثير من المؤلفين...والمعنى الثاني عند القدامى هو المناقشة والجدل».

هـ_ الأدب: إنه فرع بديع ناضر من فروع (الشجرة اللغوية)، تتحول فيه الكلمات والجمل والعبارات، إلى فن جميل جذاب، فتجعله أحب فروع هذه الدوحة إلى الناس، وأقربها إلى قلوبهم ونحدد هذا الكلام العام تحديدا علميا فنقول:

_ إن الأدب من جهة الاقتدار على إبداعه كأي فن جميل، موهبة من الخالق جل وعلا، تظهرها الممارسة اللغوية الجيدة مع المعاناة النفسية الصادقة، واستعداد فطري تصقله التجربة المستمرة وينضجه تعاطي نتاج الموهوبين في هذا المجال.

_ ومن جهة مدلوله الفني: هو ذلك الفن الكلامي الجميل، من الشعر والنثر، الذي يصور به الأديب الطبيعة والحياة ، من خلال إحساسه بهما تصويرا، يحدث في نفوس قارئيه أو سامعيه متعة وجدانية ولذة فنية.

و_ البحث الأدبي: من خلال تعريف لفظي بحث ثم أدب يمكن أن نعرف البحث الأدبي بأنه يعني« طلب الحقيقة الأدبية فيما حفظ لنا التراث من مصادر وإذاعتها».

ولا يمكن أن نفهم مفهوم البحث الأدبي مالم نمر على مصطلح أعم منه، وهو البحث العلمي.

ز_ البحث العلمي: عمليا توجد عدة تعريفات تعكس منطلقات فكرية وتاريخية مختلفة إذ يرى عبد الحق كايد أن« البحث استقصاء منظم، يهدف إلى اكتساب معارف جديدة وموثقة بعد الاختيار العلمي لها»، بينما يرى بوحوش بوذنيبات أن « البحث العلمي هو التحري والاستقصاء المنظم الدقيق الهادف للكشف عن حقائق الأشياء وعلاقاتها بعضها ببعض، وذلك من أجل تطوير الواقع الممارس لها فعلا أو تعديله»، ويتضح من هذه التعريفات أن البحث حتى يكون علميا لابد أن تكون الطريقة المتبعة علمية وموضوعية، ومن أول خطوة(التعرف والتحديد لما يجب بحثه) إلى آخر خطوة فيه(اكتشاف الحقائق والعلاقات بين أبعاد أو أجزاء الموضوع والتحقق من صحة ما تم التوصل إليه).

تشير الدارسة آمنة بلعلى في كتابها المعنون بـ(أسئلة المنهجية العلمية في اللغة والأدب) إلى ضرورة قرن منهجية البحث في الأدب واللغة بالعلم بقولها:« كون البحث بحالة يلزم الرجوع بها إلى المنهج، ولما كان هذا الأمر غير كاف في اللغة والأدب نظرا لأن كلمة منه ترتبط في أذهان البعض بالطريق الذي يسلكه الإنسان لفعل شيء ما، أردفنا كلمة البحث بالعلم . لنؤكد أن البحث في اللغة لا يتوسل بالمنهج فقط ولكن بالعلم أيضا، فيصبح البحث عملا بالعلم، بناء على أنه لا عمل بدون علم، وأن العلم قد يكون بغير عمل، ورغبة في تجديد صلات اللغة والأدب بصفتهما أقرب الموضوعات إلى الإنسان بالمنطق العلمي».